رؤية الدراسات الحديثة في تطور اللغة العربية
أهو تطور أم تغير أم اكتشاف

The view of the new studying in development of Arabic language is a evelopment, change or detection

م.م. جلال جابر ثامر الربيعي
المديرية العامة لتربية واسط
jlalalrbyy246@gmail.com

الملخص

انّ البحث تعرض لبعض ما تعلق بمصطلح التطور في اللغة العربية فالتعلم يتأثر تاثراً مباشراً بذلك التطور وانعكاسه الواضح على عملية ايصال المادة العلمية للمتعلم , ومن هذا المنطلق وجدت أن هذا التطور الحاصل في اللغة بفعل عوامل عديدة لها الاثر الواضح في سير التعلم اللغوي الذي يزداد صعوبة جيل بعد جيل , واهم الصور الممكنة التي تجعل المهتمين في هذا المجال يطلع على بعض نواحي التطور الحاصل في اللغة والذي لا يمكن ان الشعور به ;لأنه يحصل بصورة تدريجية غير قابلة للاكتشاف الا بعد طول نظر ودراسة . ووجدت أن لفظة التطور هو مصطلح غير صحيح لان اللغة العربية هي لغة من صفاتها انها لغة حية تغير نفسها بحسب حاجة المتكلم من دون الخروج عن قواعدها الصارمة وهي ليس تغير لأنه مصطلح له حدين قد يكون تغير سلبي او ايجابي ولكن اعتقد ان مصطلح اكتشاف الفاظ جديدة هو الاصح لان اللغة العربية واسعة لها القابلة على ايجاد ما هو جديد ولا يخرج عن اصولها ... أما بعد فالحمد لله العلي العظيم على توفيقه في ما قدمته وهو الشيء النزر القليل الذي اعتبره متواضعاً راجين من الله قبول صالح الاعمال . ... والحمد لله رب العالمين

كلمات افتتاحية/ تطور اللغة – تطور –تغير –اكتشاف.

The Perspective of Modern Studies on the Develoment of the Arabic Language: Advancement or transformation, or discovery?

Asst. Lec. Jalal Jabir Thamir Ar-Rubai'i
Directorate General of Education / Wasit
E-mail: jlalalrbyy246@gmail.com-

Abstract
The current research investigates the concept of development in Arabic language. Learning is influenced directly by this development and its obvious reflection on the process of conveying scientific material to learners. Hence, it has been found that such a development taking place in language due to various factors has a clear impact in the course of linguistic learning which has increased in difficulty as time passes. The most important possible images that make those interested in this field see some aspects of the development taking place in the language which cannot be felt because it occurs gradually and is not detectable except after long-sightedness and deep study. The current research has found that the concept of development is an incorrect term since Arabic language is a living without language that can cope with the increasing demands of learners deviating from its strict rules. It is not a change since it a two-fold term, that is, it might be a positive or negative change. Hence, "discovering new utterances" is the accurate expression, as the Arabic language has a broad capacity to find what is new and adheres to its original standards.

المقدّمة

بسمه تعالى الذي عليه نتوكل وبه نستعين وبتوفيق منه نستلهم الهمم والنجاح في تحقيق الأهداف المنشودة من أجل النهوض بواقع الامة بشكل عام وباللغة العربية بشكل خاص .

اما بعد...بدأنا بكتابة هذا البحث المتواضع لعرض ما جاءت به الدراسات الحديثة في مجال تطور اللغة العربية وصورها وأسبابها ومحاولة للتعرف أن الذي يحدث للغة أهو تطور أم تغير أم اكتشاف؟

تضمن البحث موضوع معنى التطور اللغوي علاقة اكتساب اللغة بالتطور فضلا عن قانون المماثلة والمخالفة و اللهجات الاجتماعية و العوامل المؤثرة في تطور اللغة العربية.

وقد تَمّ مناقشة هذه الموضوعات لمعرفة مدى تأثر المجتمع اللغويّ بظواهر التجدد لألفاظ اللّغة الذي يحدث أثناء مراحل حياتها على ألسن المتكلمين وهل سِؤثّر ذلك على سير العملية التعليميّة للغة , إنَّ هذا البحث هو عبارة عن إطلالة بسيطة ومحاولة رفد المكتبة العربية بموضوعات قد تدرس في المستقبل . وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين ومن الله التوفيق...

(الفصل الأول)
التطور اللّغويّ أساليبه وصوره

(معنى التطور اللّغويّ وصوره في المجتمع)

إن الخوض في معنى التطور اللّغويّ لا يخلو من الصعوبة والتنظير, فهنالك أسئلة مهمة قد تطرح نفسها أمام هذه الدراسة هل العنوان يدخل في مجال التجديد للاستعمال اللغوي ؟ أم في مجال البحث عن مفردات جديدة لكي تزيد من الثروة اللغوية , أم هي عملية جرف اللغة عن أصالتها التي انبعثت من باطن الصحراء , والكثير الكثير من الاسئلة التي لا يمكن الاجابة عنها بشكل سريع.

إن" التطور في اللغة أمر حتميّ يشبه أن يكون وجها من وجوه تطور الحياة نفسها وهو في معناه البسيط التغير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها , أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في كافة مجالاتها ولا شك في أن التطور اللغويّ مرتبط بسنن التطور العام في حياة الانسان , واللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بكلّ ما يعتري الإنسان من أحوال عامّة يشترك فيها جميع افراد الأمة المعينة في فترات حياتها " [1]

إننا عندما نعود الى العصور السابقة التي رافقت نشأة النحو نجد أنَّ هناك أسباباً قد فرضت على الواقع اللّغويّ , أهمها ظهور قواعد تلزم اللسان العربيّ على الالتزام بها كونها تحافظ على استقامته من خلال الحفاظ على الموروث اللغويّ , وبالتالي فإننا نجد أَنَّ ما دخل على اللغة من الفاظ جديدة ناتجة عن ظروف الاختلاط بالأمم الأخرى سواء للتجارة او الفتوحات الاسلامية أو لطلب العلم هي الفاظ غير مرغوب بها وبالتالي لا تعد تطورا وانما تغيرا سلبيا في تشبه الحالة المرضية الاجتماعية .

ويمكن القول: إنَّ المجتمعات العربية تطورت من خلال نموها في مجالات الحياة الأخرى , فاصبح وجود قانون صارم يحمي اللغة من الضياع الا وهو(النحو) " وإذا ما تأملنا النحو بوصفه تركيباً نظرياً.... وسَّع المعرفة النحويّة التي يستقيها من الناطقين باللغة العربية"[2]

وعند متابعة حياة اللغة في المجتمع نلحظ أَنَّ التطور هو عملية حيويّة مرتبطة بوجود اللغة في افواه المتكلمين فإنَّ " الاتجاه الطبيعيّ للّغة وبخاصة في صورتها الدارجة أو المتكلمة هو اتجاه يبعدها عن المركز فاللغة تميل الى التصريف خلال الزمان أو عبر المكان الى الحدّ الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز "[3]

وإننا عند معاينة اللغة عن كثب على السنة المتكلمين وتنتقل من عصر الى عصر نجد أَنَّ هناك "صراعاً بين أنصار الشكل القديم وانصار الشكل الجديد وبعد فترة يصبح قديما ما كان بالأمس جديدا فيتصارع مع جديد آخر وتضمحل لغة العصر الاسبق أو تندثر غير أَنَّ كلَّ جديد لا يظهر فجأة ولا يقضي على القديم بين ليلة وضحاها بل يظل الصراع بينهما لفترة قد تطول أو تقصر غير

أَنَّ الانتصار يكون في النهاية للشكل الجديد تلك سنة الحياة وتاريخ اللغات كلّها يشهد بهذا ولا نعرف على وجه الارض جمدت على شكل واحد مئات السنين"([4])

إن الظواهر الاجتماعية هي جزء لا يتجزأ من المجتمع الحرّ الذي يتطلع للتطور والابتعاد عن الصعوبة , وتعدّ اللغة من أهمّ موضوعات هذا البحث لأنه يمسّ الحياة العامة, فالظواهر الاجتماعية تمتاز بـ" أنها تنتقل في نظم عامة يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما ويتخذونها أساساً لتنظيم حياتهم الجمعية, [و] أنها ليست من صنع الأفراد وإنَّما تخلقها طبيعة المجتمع ,إنّ خروج الفرد على أيّ نظام منها يلغي عمله وتعتبره كأنَّه لم يكن "([5])

ومن هنا نجد أن عملية التطور ما هي إلى صورة من صور التغير في استعمال المفردة اللغوية ولا سيّما في أحوال الاحتكاك الاجتماعي بين الأمم "إذ إنَّ أنتشارها في إقليم تحتك فيها بلغات أخرى , يعرضها لأن تفقد خصائصا الموغلة في الذاتية [6].

والتأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي بها الى التغير السريع , فإذا ما قارنا لهجة مواطن أصليّ بلهجة مستعمراته ,تبين لنا أن هذه الأخيرة , قد فقدت بعض القواعد النحوية الخفية الدقيقة ; ذلك لأنَّ التقاليد قد أبقت عليها في مهبط رأسها, ثم تلاشت بهجرتها بعيداً عن موطنها (7)

أما النظرية التي اسميتها (الاكتشاف والضمور) التي أراها هي المناسبة لما يحدث في اللغة من أضافات جديدة والتي نفسرها بالاستعمال اللغوي التي تكاد تكون عملية مستمرة تعيش مع أعضاء المجتمع في البيئة اللغوية الواحدة فإن نظرية التطور في اللغة هي عملية تجديد وترقية تحمل ملامح اللغة من شكل الى شكل أعلى درجة ورقيا أي أنَّها اصبحت تلائم مجتمعاً قد ارتقى ونهض بكل مجالاته فانعكس ذلك على لغته فالتطور لغةً هو" تحول من طور الى طور, تطور في دراسته ترقى وتدرج, الوضع الاجتماع في تطور مستمر, في تغير وتبدل من مستوى الى آخر من حال الى حال تطورت الصناعة تطورا سريعا"[8]

فنلاحظ من ذلك كيف تعطي كلمة التطور معنى الانتقال ولا يمكن أن نجعلها تمثل تلك الظاهرة المتجددة في اللغة بانها تطور لأنها ليس عملية انتقال ارتقائية وانما انتقال استعمالي لغويّ جرفته تيارات الحاجة البيئية لكنها لم تخرج من سياقاتها النحويّة والصرفيّة القديمة الجديدة التي لا تبلى ولا تهمل إلا بحكم (نظرية الاكتشاف والضمور) التي أريد أن ابينها للدارس الكريم فعملية الاكتشاف هي عملية ناتجة عن الحاجة الى لفظ جديد يتم اكتشافه من حدود اللغة العربية وادخاله في خدمة المتكلم بسبب الحاجة الملحة لإيجاده , و(اكتشاف) في اللغة هو" مصدر اكتشف الجمع اكتشافات عملية الكشف عن شيء أو أمر مجهول....."[9]

فهناك عملية مستمرة في الاكتشاف والضمور التي تحدث في كلّ لحظة على ألسن المتكلمين " فتظهر دون توقف وحدات صوتية والفاظ جديدة وتراكيب حديثة بينما تختفي الى الابد أو تهمل بالمرة تراكيب أخرى"[10]

ونحن هنا في باب طرح فكرة مصطلح جديد في هذا المجال فلا بدّ من الإشارة الى جهود الباحثين الكبيرة في ظاهرة التطور الحاصل في اصوات الحروف المستعملة في اللهجات العربية المختلفة وكانت نتائج هذه الابحاث مهمة وذات التفاتات تستحق التأمل والثناء ومنها حصول " اندثار الأصوات الأسنانية في بعض اللهجات العربية الحديثة يعد مظهرا آخر من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة , والأصوات الأسنانية في العربية هي (الذال والثاء والضاء) وهي التي تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها ولاشك أن ذلك جهد عضلي تخلص منه لغة الكلام, ينقل المخرج إلى ما وراء الاسنان" (11)

لعل افضل مثال على كون مصطلح التطور قد يكون غير دقيق هو وجود اللهجات العربية المختلفة التي تبنتها القبائل العربية , فأصبحت بحكم الاستعمال لغة واجبة الاحترام وبالتالي فلا تطور قد حدث وإنما هو عملية اكتشاف اساليب لغويّة تتناسب مع المتكلم في البيئة اللغوية الخاصة(12)

وقد تمتلك حركات التجديد في اللغة العربية التي يسعى إليها الكثير من الأدباء والكتاب وهذا واضح في أعمالهم وكتاباتهم الأدبية من خلال تأثرهم باساليب اللغات الأجنبية ومفرداتها لغاية في نفس الكاتب او محاولةً منهم في ترجمة تلك المفردات التي يحتاجها في توضيح فكرته الأدبية واستعماله المصطلحات غير العربية ومحاولة الاستفادة من أفكار أهلها كان له الأثر البالغ في رفد اللغة وزيادة ثروتها والامثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الغابرة وفي العصر الحاضر (13)

إن العوامل الأدبية لها الأثر في ظهور ملامح التطور اللغوي ; لأنه يعد جانباً من جوانب الاستعمال اللغويّ المباشر والمقصود ممَّا يجعل التطور في اللغة يتماشى مع التطور في الأفكار الأدبية التي تخص شريحة مهمة من شرائح المجتمع وهم الأدباء والمفكرون فضلا عن استهداف الأديب صورة من صور الحياة المنغمسة في مجريات الطابع اليوميّ الذي يحتاج ان يتماشى مع الذائقة اللغوية وهي تحاكي كل ما يظهر من مفردة لغوية تعبر عن معنى يقصده المتكلم وقد أجازها هذا المتكلم لنفسه مع اتفاق واضح بين افراد المجتمع الواحد عليها وعدم ظهور معارضة تجاه تلك المفردة (14)

وبالتالي فان وجود مفردات قد تجمعت عبر الزمن خلقت نظاماً جديداً رسم ملامح هذا التطور في اللغة قد تتعارض هذه المفردات مع النظام اللغوي للغة الام او يتماشى معها, المهم أننا نجد أن تلك

الأنظمة والقوانين الصارمة للغة لم تهتز ولم تستطع تلك المفردات من أن تحصل على الموافقة بسهولة للدخول الى اسوارها وجعلها مفردة تتمتع بالحصانة اللّغوية لذلك نجد أن اغلب تلك المفردات قد تلاشت وبشكل سريع(15)

وما يهمّنا من وجود المفردات الجديدة هي التي حصلت على موافقة قوانين اللغة الأم في البقاء داخل أسوارها المنيعة وتدخل في الاستعمال اللغويّ اليوميّ للمجتمع , ومن هذا نجد أَنَّ حياة اللّغة قد انقسمت على شكلين الشكل الأول : هو الداعي إلى التقسيم على لغات ولهجات والشكل الثاني هو الداعي الى الوحدة المتزايدة والاتساع . وهذان الشكلان هما نتاج ظروف وعوامل لأحداث مختلفة تعرضت لها الجماعات اللغوية وبحسب رؤية بعض الدارسين أن الجانب الداعي للتقسيم في اللغة هو أقوى من الجانب الداعي للتوحيد فالتقسيم وكما يرى بعض اللغويين هو عملية التطور الطبيعية للغة .(16)

إنَّ ما يسمى بموت اللغات ما هو إلاّ عملية تطور للغة وانتقالها من شكل الى شكل جديد " والحق أن هذه الحياة وذاك الموت نسبيان يقاسان باستمرار او استعمال هذه اللغات او بانقطاع دورانها على الألسن [و] إنَّ أية لغة من اللغات هي نظام معين من النظم الاجتماعية وهي بهذا الاعتبار خاضعة لتطور مشروط بتطور الجماعة التي تشكلها أية لغة باعتبارها نظام من العلاقات التعسفية المتواضع عليها لا يقوم لها وجود إلّا إذا استعملتها جماعة من الجماعات"(17)

ونحن" إذا عُدنا إلى عربيتنا الحديثة وجدناها ترضى بمئات الألفاظ الجديدة المولودة والمعربة وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت مخصّصة مقيدة بنوع خاص من المعنى , غير أَنَّ اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عدّ هذا الجديد من الفصيح" (18)

أَمّا ما نجده من أخطاء في الاستعمال اللغويّ داخل المجتمع فهو يعدّ حالة هجينة ومستوى من مستويات التكلم داخل المجتمع إذ لا يمكنه أن يدخل في إطار التطور اللغوي وأشار إليه الكثير من العلماء إذ حصل في مجال الظواهر النحويّة والصرفيّة بجعل أسم الفاعل مكان أسم المفعول كقولهم (طريقٌ مٌخيف بضم الميم) وفي قولهم (والغنى ممكِن بكسر الكاف) وقولهم ولا تذكرني في الذاكرين) وصوابها أن تقول فيما سبق (طريقٌ مَخيف بفتح الميم) و(والغنى ممكَن بفتح الكاف) و(لاتذكروني في المذكورين)(19)

والظواهر الصوتية في هذا الجانب واضحة كقولهم مثلا في (إرجوحة مرجوحة) وفي (خربشني خرمشني) وقالوا(تشتر الدابة وهي تجتر الدابة) والكثير من الاخطاء في هذا الجانب من الظواهر يمكن الاطلاع عليها في مصادر الكتب القديمة والحديثة وهذا لا يعد تطورا وانما انحراف قد يصل الى مرحلة الخطور; لأنه يصل لمجالات اللغة ويدخل في عصب تكوينها (20)

وأنا أرى أَنَّ عملية تقويم اللسان العربي ليست سهلة ; لأنها تخضع للذائقة التكلمية عند الفرد فلا يمكن أن نفرض عليه ما لا يريد وهذا الجانب يمكن حله من خلال محاولة رفع المستوى الثقافي للمجتمع ونبذ ما هو غير لائق ويخدش السياقات اللغوية الاصيلة.

وأَما قضية التأثير والتأثر بين اللغات الناتجة فمن الاحتكاك السلميّ أو غير السلمي بين الشعوب ذات اللغات المختلفة أي بعيدة الشبه فيما يتعلق بأحكامها المختلفة أو قريبة الشبه " وليس من السهل ونحن نبحث قضية التأثير والتاثر أنَّ نصل إلى نتائج قطعية ; لأنَّ مشكلة التأثير والتاثر من المشكلات الشائكة التي يصعب علاجها وخصوصًا إذا كانت تتناول موضوعاً مضى عليه مئات السنين وَرُبَّما كانت قضية التأثر الاجنبي بالدرس اللغويّ اسهل تناولاً من قضية التأثير الآجنبي وأقوى أدلة . لأن التأثر قد تم في فترة متأخرة نسبياً ولآن الأمثلة والشواهد على وجوده كثيرة ...قطعية"(21)

العلاقة بين الاكتساب والتطور

إنَّ مجال اكتساب اللغة عند أفراد المجتمع يعدّ ركنا مهمّا في عملية تطور اللغة وانصياعها لمتطابات الاستعمال اللّغويّ , واكتساب اللغة يعدّ موضوعًا واسعًا ويتفرع عدة تفرعات, فمنه ما يكون في اطار التنظير عن طريقة اكتساب اللغة واندماجها في المجال النفسيّ وما له من أثر واضح واقصد المجال النفسي في بطء وسرعة اكتساب اللغة من المحيط الخارجي سواء كان ذلك على صعيد الطفولة أو على صعيد مراحل النمو الاخرى .(22)

ويعدّ العقل هو الجهة الوحيدة التي تتحكم في مدى سرعة الاكتساب فهو احد ركائز التطور اللغويّ إذ" لايخفى ما لنتائج التامل في جهاز المعرفة والتعلم الطبيعي من تأثر مباشر في ميدان اللغة , تعلق الأمر بتصورها او بوضع نماذج نحوية لوصفها أو لوصف الطريقة المنتهجة لمعرفة اللغة واكتسابها . فاللّغة داخل المذهب الطبيعي يجب أن تتصور طبيعته بدءاً في ذات مسمى العقل داخل هذا المذهب وبما أنّها كذلك وجب ألّا تتخصّص , ووجب أن يكون النموذج النحوي المقام لوصفها عامًّا يستغرق الانحاء الخاصة الناشئة عن عدم مراعاة مستلزمات المبادىء العقلية ينبع ذلك ان يكون النحو العام فاعلا مؤثراً والانحاء الخاصة فاعلة ومتقبلة ... في المقابل اللغة داخل المذهب الكسبي يجب أن تكون صناعية إذن فهي ممن يمكن أن يختلف اصلا بسبب ذلك ما يصنعه واضع من اصول تحقق واحد من الامكانات المتوفرة فتاتي على نحو من الانحاء"(23)

فهذا الاكتساب يعد وسيلة من وسائل تطور اللغة العربية إذ ازدياد عملية الاكتساب واستمراريته في الاستعمال اللغوية مع تماشيه للقوانين اللغوية الصارمة يزيد في عملاية التجديد لها , وقد تنشط عملية الاكتساب العقلي للغة أو تضعف بحسب الظروف الاجتماعية المختلفة .

قانون المماثلة وعلاقته بالتطور اللغويّ

إنّ قانون المماثلة مصطلح حديث ابتكره علماء اللغة اثناء دراساتهم على موضوعات درسها علماء اللغة القدامى الذين فصلوا في امثلتهم تفصيلا عميقا مما لفت انظار الدارسين المحدثين حولها فخرجوا بهذا المصطلح والذي اسموه (قانون المماثلة).

وتحدث المماثلة في بعض مجالات اللغة فنجده في المجال الصوتي والمجال النحوي ; ففي المجال الصوتي نجد ان الاصوات تتأثر بعضها ببعض , فتعطي شكلا جديدا للفظِ الصوت من خلال النطق به " في الكلمات والجمل فتغير المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ذلك أصوات اللغة تختلف فيما بينها كما نعرف ... ويعرّف دانيال جونز المماثلة بأنها عملية استبدال صوت بصوت آخر تحت تاثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة وهذا التوافق كما يحدث بين الاصوات الصامتة يحدث ذلك بين الحركات كما يحدث ايضا بين الاصوات الصائتة والحركات"[24]

أَمَّا ما يسمّى بقانون المخالفة فهو " قانون صوتيّ آخر يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم قانون المخالفة وقد عرفنا أَنّ قانون المماثلة يحاول التقريب بين أصوات بينها بعض المخالفات أما قانون المخالفة فإنه يعمد على صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات فيتغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أَنّ يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة ويقول فندريس " ينحصر التخالف وهو المسلك المضاد للتشابه في أنّ يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أنّ تعمل مرتين "(25)

ويبدو أنَّ " هنالك اصطلاحات لعلماء الأصوات في أنواع التاثر الناتجة عن قانون المماثلة فإن أثر الصوت الأول في الثاني , فالتأثر (مقبل) وإن حدث العكس فالتاثر (مدبر) وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت, فالتأثر(جزئي) وفي كل حالة من هذه الحلات قد يكون الصوتان متصلين تماماً بحيث لا يفصل بينهما فاصل من الاصوات الصامتة أو الحركات وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الاصوات أو الحركات "(26)

فنجد في بعض امثلة قانون المماثلة " تطورت كسرة الميم إلى الفتحة في صيغتي اسم الآلة : مِفعَل ومِفعَلة , وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الآندلس العربية في القرن الرابع الهجري إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين "(27)

اللهجات الاجتماعية واثرها الواضح في التطور اللغويّ

إنّ ظاهرة اللهجات التي أصبحت الهوية الاجتماعية للغة المحادثة اليومية والتي أصبح لها الدور الأكبر في بيان مدى اقتراب او ابتعاد المجتمع اللغوي من قوانين اللغة الام إذ " تؤثر اللهجات الاجتماعية في لغة المحادثة العادية تأثيراً كبيراً فتتغير فيها هذه اللغة كثيراً من التراكيب والمفردات وبخاصة المفردات التي خصص مدلولها العام واصطلح على اطلاقها على أمور خاصة تتعلق بفن أو حرفة وما إلى ذلك , ... ولا تتميز في العادة اللهجات الإجتماعية بعضها عن بعض تميزا واضحًا إلا في المدن الكبيرة حيث يتكاثر السكان ويزدحم الناس وتنشط الحركة الاقتصادية وتتعدد الوظائف وتتعدد المهن ويشتد النزاع بين الطبقات "(28)

الفصل الثاني

(العوامل المؤثرة في عملية تطور اللغة العربية)

أولا/ العامل الاجتماعي.

ثانيا/ عامل تأثر اللغة بلغات أخرى قصرا او طوعا.

ثالثا/ العامل الأدبي.

رابعا/ انتقال اللغة من السلف الى الخلف.

خامسا/ عامل الطبيعة.

سادسا/ العامل اللغويّ.

أولا: العامل الاجتماعي :

إنّ العامل الاجتماعي من العوامل المهمة التي لها دور فعّال في تطور اللغة "فاللغة هي مادة حية وظاهرة اجتماعية تخضع كما تخضع غيرها من الوان النشاط الانساني إلى عوامل الزمان فتتأثر سلبا وايجابا [و] التطور الخارجي هذا النوع من التطور بطيء غير أنه لا يعرف التوقف وهو يتناول اللون الخارجي للغة من حيث الاسلوب ومن حيث الدلالة المعنوية"[29].

وهذه العوامل التي تتعلق بحضارة الامة وما يرتبط بها من نظم وتقاليد وأعراف وعلاقات اجتماعية (مذهبية عشائرية مدنية وغيرها) فضلا عن ذلك نشاطها العملي والعقلي والثقافة العامة التي تسود المجتمع , فكلما كانت تلك الحضارة اكثر اتساعاً ونهوضاً وانفتاحاً على باقي حضارات المعمورة سعيًا منها للارتقاء بواقعها النفسيّ والمعنويّ في التفكير واساليب الحياة الجديدة البعيدة عن

ما ورثته من اساليب قديمة تحاول ان تجد لها طريقا للتطور والتغير انسجاما مع واقعها الحياتي الجديد .

ثانياً: تأثر اللغة بلغات أخرى قصراً أو طوعاً:

أن الدعائم التي يعتمد عليه التطور الناشئ المتمثل بالأجيال التي تعيش ضمن مجتمع لغوي واحد تتاثر تاثرا مباشراً مع لغة أخرى ضمن مجتمع آخر وقد يكون هذا التأثر ناتجا عن الاحتكاك القصري بسبب الحروب او غير قصري كتبادل الرحلات السياحية والدينية والاثارية فتنتقل عادات لغوية جديدة من مجتمع لآخر وبالعكس.

أما من ناحية قوة ذلك المجتمع وضعفه فهذا ميزان نسبي فالتاثر يعتمد على مدى التطور الثقافي والانفتاح على المجتمع الجديد فنجد ان الدول التي تعرضت للحروب اكثر تاثراً واقل تاثيراً وهذا ايضاً نسبي فهنالك مجتمعات امتلكت لغة اصيلة موغلة بالقدم لم تتعرض للاجتياح الثقافي وان تعرضت فالتاثر يكون بسيطا لا يتعدى مفردات عامية بسيطة .[30]

ثالثاً : العوامل الأدبيّة :

إن هذه العوامل تعد ذات أثر كبير في تطور اللّغة العربيّة والحفاظ على رونقها وقواعدها إذ" تتمثل هذه الطائفة جميع ما تجود به القرائح من وسائل ومنتجات تؤدي إلى حفظ اللغة وتعليمها وتوسيع نطاقها وتكملة نقصها وتهذيبها من نواحي المفردات والقواعد والاساليب وتسجيل اثارها واستخدامها في مختلف فروع الترجمة والتأليف ولما كانت هذ المنتجات الادبية تساير حضارة وترسم نهضة المجتمع وتتأثر بجميع ما يطرأ على الحياة الاجتماعية عمّا في عقلية الجماعة ونظامها ومطامحها ونظرتها الى الحياة وفهمها لحقائق الكون ومبلغ تقدمها في العلوم والفنون وما وصلت إليه من سلم الارتقاء لذلك كانت الدعائم التي يعتمد عليها التطور اللغوي الناشيء ..... إن آثار الأمور الأدبية تتجه أولا وبالذات إلى لغة الكتابة [و]منها تتجه الصور السابقة الى لغة المحادثة ... العوامل الادبية تبدو في صورة أمور مقصودة تسيرها الإرادة الإنسانية" (31)

رابعاً : انتقال اللغة من السلف الى الخلف

إنَّ عملية انتقال اللّغة من السلف إلى الخلف تعد امرا طبيعيا للغات في المجتمعات المختلفة باعتباره ارثا حضاريا مليئا بملامح الحضارة والتراث الاصيل وفي هذا المجال نجد " أن الطفل يأخذ اللغة عن ابويه والمحيطين به بطريق المحاكاة والتعلم فإن لغة الخلف في كل أمة تختلف عن لغة السلف في كثير من المظاهر ويرجع بعض أسباب هذا التطور إلى أمور اجتماعية ولكن طائفة غير يسيرة منها ترجع الى امور غير اجتماعية أما العوامل الإجتماعية التي تؤثر في هذا التطور فيرجع اهمها الى امرين احدهما الى النظم والتقاليد التي يسير عليها المجتمع في تلقين الأطفال

اللغة في الأسرة وتعليمها إياها في المدارس فلا يخفى ما عند النظم من أثر بليغ في تطور اللغة في اثناء انتقالها من السلف الى الخلف" (32) .

إننا عندما نمضي في بحثنا عن الخط البيانيّ لتطور اللغة وتغيرها تبعا لتلك العوامل فإنّنا نجد " أن العربية التي استحكمت أصولها قبل الاسلام غير العربية القديمة التي كانت في تلك العصور الضاربة في القدم فعربية هذا العهد الحديث ..... ولاسيما مدوناتها فإنها اقدم عهدا منم مدونات عدنانيتنا بعدة قرون , [و] كان للسلف الفاظ تغنيهم عن اتخاذ الدخيل ومع ذلك اتخذوه فقتل الدخيل الاصيل حتى انه ليصعب على السامع فهم الكلام العربي بعد أن اعتاد سماع الأجنبي الأعجمي وألفه"[33]

ومن جانب آخر نجد أنَّ عملية استعمال المفردات من قبل الأجيال الجديد ختلفت من حيث الدلالة وتشابهة من حيث المفردة إذ " كثرة استخدام الكبار في جيل ما بعض المفردات غير ما وضعت له عن طريق التوسع او المجاز لدواع اجتماعية في جيل ما في ناحية معينة من نواحي دلالتها أو في معنى مجازي تربطه بمعناها الاصلي بعض العلاقات فيعلّق المعنى الخاص أو المجازي وحده في أذهان الصغار ويتحول بذلك مدلول الكلمة الى هذا المعنى الجديد "[34]

ولعل من أهم مظاهر تطور اللغة العربية هو عملية تحول الكلمات الى معانٍ كانت مجازية في الاصل وفيها يعتري المدلولات في نطاقها من سعة أو ضيق بل ان طائفة من العلماء قد رجعت الى هذا العامل وحده كل ما يحدث من تطور في الدلالة أذ نجد أن الدعائم التي يستند عليها التطور اللغوي الناشيء عن طريق هذين الأمرين وما اليهما لا تختلف في شيء عن الدعائم التي تعتمد عليها التطور الناشيء عن العوامل المشار إليها إنّ تطور اللغة بحد ذاته هو ناتج عن ظواهر اجتماعية والتي تدعو إليه مقتضيات الحياة الاجتماعية ([35]36)

خامساً: عوامل طبيعية :

إنّ عامل الجغرافية من العوامل المهمة في اختلاف اللغة واختلاف مسارات تطورها ففي كلّ مجتمع ضمن دولة جغرافية معينة تختلف الالفاظ والمفردات مع دلالاتها المستعملة بحسب تلك المنطقة الجغرافية فنجد " خصائص الاقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانه وتتجه في سبيل التطور... ومن اجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة وبين سكان المناطق الصحراء وسكان الاودية وبين سكان الشمالية والوسطى والجنوبية"(37)

سادساً : عوامل لغوية :

إنَّ العوامل اللغويّة التي لها دور كبير في تطور اللغة وسنتطرق إلى بعضها , فمنها هو التقارب الذي يحدث بين الأصوات اللغويّة في نفس الكلمة من ناحية المخرج اثناء النطق بها وكذلك نجد

ان تاثر اللفظ للحروف المتقاربة في المخرج يحدث فنستيع ان نصنف ذلك ألى تفاعل الاصوات بعضها مع بعض كاصوات اللين اثناء تقاربهما في النطق واصوات اللين تتأثر بموقعها في الكلمة فمثلا اذا كان في آخر الكلمة فانه معرض للسقوط , وكذلك فان تنافر هذه الاصوات ينتج عنها حالة جديدة في الكلمة اثناء كثرة الاستعمال لها في المجتمع اللغوي (38)

أما التطور الدلالي(39) في الاستعمال اللغوي فنجد فيه دليلا واضحا على سرعة تطور المفردة اللغوية في المجتمع اللغوي فالمفردة تتعرض لكثير من الانجذابان إلى ناحية الانحراف عن المسار الحقيقي التي وضعت لاستعمالها وقد تظهر الأسباب كثيرة قد دعت إلى تخلي تلك المفردة في تمثيل دلالتها الإصلية كضعف استعمالها أو ارتباطها الطويل في الذهن مما يسبب نوع من الملل الذهنيّ مما يعطي سهولة التخلي عن معناها الدلالي الاصلي أو تقارب المعنى الدلالي من معنى دلالي آخر لكلمة تشابهة معها في بعض الأحرف أو الصوت اللغوي .

وهنالك عوامل تتعلق بالقواعد الخاصة باللغة نفسها فنجد أن الدلالة للمفردة تكتسب حرية التجوال بين الدلالات المعنويّة ممّا يخلق جواً مشحوناً بالمعاني البلاغية التي تهدف إلى خدمة المتكلم في المجتمع اللغويّ الواحد وقد لا يكون ذلك إلّا بين أوساط الطبقات المعرفيّة ذات العمق الثقافي المعين.(40)

الهوامش

(1) التطور اللغوي45
(2) تاريخ النحو العربي/36
(3) التطوراللغوي 12
4) التطور اللغوي 12.
5) المصدر نفسه 5.
6)ينظر ملاحظات لغوية الطريق الثالث الى فصحى جديدة /116
7 التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه 17
8 معجم المعاني الجامع باب تطور
9 معجم المعاني الجامع باب اكتشف
10 بعض مظاهر التركيب اللغوي/10
11) التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله/83
12 ينظر: بعض مظاهر التطور اللغوي/10-11.
13 اللغة والمجتمع الدكتور 42.
14 ينظر: المصدر نفسه ص31.
15 ينظر: ملاحظات لغوية الطريق الثالث الى فصحى جديدة/112
16 ينظر : اللغة والمجتمع /170
17 الغغة والمجتمع السعران /11
18 التطور اللغوي التاريخي/229
19 تقويم اللسان لابن الجوزي ص/ 60
20 المصدر نفسه /51
21 البحث اللغوي عند العرب في دراسة التأثر والتأثير
22 ينظر: ملاحظات لغوية/114
23 اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم .
24 التطور اللغوي/30
25 التطور اللغوي /57
26 التطور اللغوي/31.

27 التطور اللغوي/43
28 اللغة والمجتمع . ص/131
29 التطور اللغوي التاريخي ص/27
30 اللغة والمجتمع/61
31 اللغة والمجتمع /ص32.
32 المصدر نفسه 47
33 نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها/89-90
34 اللغة والمجتمع /ص48
35
36 ينظر: المصدر نفسه 48.
37 اللغة والمجتمع 56
38 ينظر: اللغة والمجتمع /55ـ 74(بتصرف) وينظر : ملاحظات لغوية الطريق الثالث الى فصحى جديدة /112
39 ينظر: المصدر نفسه /75- 76.
40 ينظر: اللغة والمجتمع 75-76